في كتابة التاريخ والسِيَر الذاتية

د.حازم صابوني

في كتابة التاريخ والسِيَر الذاتية

هناك مثل شائع يقول : " *وإلى أن يكون للطرائد مؤرّخين من بني جلدتها ستبقى قصص الغاب تمجد الصياد* " . وطرائد الغاب ، في واقع الأمر ، هم شعوب الأرض قاطبة . والصياد هو الجماعات اليهودية أينما تواجدوا . فالتعرف على تاريخ العالم بأسره لابد أن يمر عبر بوابة المؤرخين اليهود . وولع اليهود بكتابة وتسجيل الأحداث والسِيَر له أسبابه ومبرارته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية . فوفق المعتقدات اليهودية ، التي تم ترسيخها منذ القدم عبر رجال الدين ، يتواجد اليهود منذ خروجهم من أرض الميعاد في الشتات موزعين على القارات الخمس . وهكذا ، فإن تركيزهم على كتابة تاريخهم الخاص والأحداث التي مرت بهم في مختلف البلدان ومع جميع شعوب الأرض تعني بالضرورة كتابة تاريخ هذه الشعوب من منظور يهودي خالص ووفق الرؤيا والمصالح الخاصة بهم . إن أي مؤرخ أو كاتب سيرة ذاتية غير يهودي يؤرخ أحداث شعبه أو بلده أو يكتب السيرة الذاتية لقادته أو مبدعيه و بما لا يتفق مع ما يراه اليهود ومؤرخوهم هو محض تزوير واختلاق أو جهل . وهكذا سيجد المتابع أن التاريخ اليهودي لايقتصر على التسلسل الزماني ، بدءاً من سفر التكوين (1:1 *في البدء خلق الله السموات والارض*) ووصولاً إلى زماننا المعاصر ، بل يتخطاه مكانياً إلى القارات والدول والمدن وحتى أصغر قرية تواجد فيها اليهود . ولقد وجدت أن قرية موتول في بلاروسيا (روسيا البيضاء) ، على سبيل المثال ، والتي كان يعيش فيها 120 عائلة يهودية في القرن التاسع عشر لا تفتقر إلى تاريخها الخاص بها . والعناوين المبينة أدناه تشير إلى نماذج قليلة من كتب التاريخ تبعاً للتوزع المكاني لليهود في أرجاء العالم [1]

---

1 The Jew in the American World: A Source Book
Jacob Rader Marcus (Rabbi)
The Jews of Asia, especially in the sixteenth and seventeenth centuries
Sidney Mendelssohn
A People Apart: A Political History of the Jews in Europe 1789-1939
David Vital
No Fixed Abode: A Jewish Odyssey to Africa
Peter Fraenkel
The Jews in Australia
Suzanne D. Rutland
The Jews of Britain, 1656 to 2000
Todd M. Endelman
The Jews of France : A History from Antiquity to the Present
Esther Benbassa, M. B. Debevoise

ولإعطاء القارىء صورة أوضح حول التاريخ اليهودي ، استعنت بموقع كويستيا الإلكتروني [1] الذي يضم أضخم مكتبة لمجموعات الكتب والمجلات والموسوعات والصحف في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية للوصول إلى أرقام تقريبية حول المراجع والمنشورات المتوفرة والمتعلقة بتاريخ الديانات السماوية الثلاث ، اليهودية والمسيحية والإسلام . وبطبيعة الحال يجب فهم هذه الأرقام على أنها مؤشر عام فقط نظراً لأن بعض المراجع تبحث في تاريخ الديانات عامة وبالتالي فهي متكررة .

	التاريخ اليهودي	**التاريخ المسيحي**	**التاريخ الإسلامي**
عدد المراجع الإجمالي	41031	39157	18784
موزعة على شكل :			
كتب	26139	27755	11305
مقالات في الدوريات	6485	6327	3359
مقالات في المجلات	5871	4017	2983
مقالات في الصحف	2392	902	1029
مقالات في الموسوعات	144	156	108

هذا المؤشر له دلالاته الهامة إذا أخذنا بعين الاعتبار عدد معتنقي المسيحية والإسلام واليهودية من ناحية ومدى الاهتمام بكتابة التاريخ وتسويق الكتب التاريخية من قبل دور النشر من ناحية أخرى . مؤشر آخر يبدو في غاية الأهمية ذلك المتعلق بتاريخ المحرقة اليهودية (الهولوكوست) . فهناك ، وفق مكتبة كويستا ، 18411 مرجعاً حولها أي

History of the Jews In Russia and Poland Vol. II
S. M. Dubnov
Vilna (Jewish Communities Series)
Israel Cohen
The Destruction of Motol
A.L. Polick

2 تحتوي على 67000 كتاباً و 1.5 مليون مقالة صادرة عن 250 داراً للنشر (2007)

مايقرب نظرياً من 45% من مجمل المراجع التاريخية اليهودية . ويبدو واضحاً أن أغلبية المؤرخين والكتاب والصحافيين اليهود يسعون قدر الإمكان إلى ربط تاريخهم الطويل بمسألة العداء للسامية وكراهية الشعوب لهم كأقلية دينية أو عرقية ، ويحسنون استغلال ذلك للحصول على مكتسبات ومنافع سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية في كافة أرجاء العالم . هذا الربط بين اليهودية والعداء للسامية ليس بحديث ، إذ يأكده الصحافي اليهودي المعاصر أبراهام روزنتال [1] : " *بعد المسيح ، أصبح تاريخ اليهود بشكل كبير هو تأريخ للعداء للسامية* " . ولعل ما أراده المؤرخون القدامى والمعاصرون فعلاً هو محو ذكرى خيانة يهوذا الاسخريوطي ليسوع المسيح من ذاكرة الشعوب عن طريق تعميم مفهوم العداء للسامية في المجتمعات المسيحية خاصة والعالم عامة وتحويل اليهودي من متآمر أو جلاد الى ضحية . ولا بد هنا من الإقرار بأن الكتّاب اليهود يبرعون في نحت مصطلحات خاصة بهم تشير إلى المآسي والعذاب والاضطهاد والقتل التي يدّعون أنهم تعرضوا لها عبر ثلاثة آلاف عام على يد شعوب الأرض لتعطي مدلولات مؤثرة وعاطفية تستوجب الشفقة والابتزاز العاطفي وآخيراً المالي . فإضافة إلى الأنتيسيمايت هناك الهولوكوست والدياسبورا والإكسودوس والبوغروم والكريستال ناخت وأوشفيتس والبروميسد لاند التي أصبحت في المفهوم التاريخي والإعلامي العالمي مصطلحات شبه مكرسة لليهود واليهود وحدهم . هذا التوجه المدروس بعناية أصبح ، مع مرور الوقت ، خصوصية أخلاقية وجزءاً لايتجزء من نمط التفكير اليهودي . وكما تذكر الكاتبة اليهودية الأمريكية المتنوّرة كيم تشرنين [2] : " *هناك قناعة لدى اليهود أنهم دوماً في خطر ... وأن أي نقد لهم هو عدوان يؤدي لهلاكهم ... وأي سلبية تجاه اليهود هو مؤشر على عداء للسامية و يقود حتماً إلى فنائهم ..* " .

وإلى جانب كتابة التاريخ بشقّيه الزماني والمكاني ، يولي الكتاب اليهود عناية خاصة بتأريخ السيَر الذاتية للأفراد (بيوغرافي) من خلال تسليط الضوء على شخصيات دولية مرموقة ، سياسية أو ثقافية أو دينية كثير منها تتمتع باحترام شعوبها والعالم . ويعيد كتّاب السيرة الذاتية تقييم هذه الشخصيات حسب مواقفهم من اليهود (أو مؤخراً من إسرائيل) بغض النظر عن مكانتهم أو تأثيرهم أو أعمالهم الجليلة لشعوبهم . فبعد

1 One More Victim, by Rosenthal, A. M. and Gelb Arther , 1967
2 Seven Pillars of Jewish Denial , by Kim Chernin , 2004

انتهاء الحرب العالمية الثانية ، أصبح الباب مشرعاً بشكل كبير " لنبش " التاريخ من جديد أو إعادة كتابته ، عن طريق استغلال المحرقة والنازية وهتلر ، لتلطيخ سمعة أو تشويه هذه الشخصية أو تلك وغالباً بشكل فج وانتقام غير مسبوق . وفي الآونة الأخيرة ، أضاف المؤرخون والكتاب ، كنوع من التنويع والتجديد ، إلى هتلر والنازية مصطلحات الإرهاب والإسلام الفاشي واليسارية والنازية الجديدة وغير ذلك إلى قائمة السباب والتشهير . ولقد رأيت ، إيضاحاً للفكرة ، أن أعرض بعض النماذج القليلة لكتابة السير الذاتية لعدد محدود من الشخصيات العالمية التاريخية والمعاصرة ، كما يصوّرها المؤرخون والكتّاب والأكاديميون اليهود المتطرفون .

مارتين لوثر : المصلح الديني الألماني ومؤسس الكنيسة البروتستانية في القرن السادس عشر والتي يقدر أتباعها بمئات الملايين . كان في بداية حياته المهنية متعاطفاً مع اليهود إلا أن خبرته في التعامل معهم حولته إلى الطرف الآخر . ففي عام 1543 ، وقبل وفاته بثلاث سنوات ، ألف كتاباً بعنوان " *حول اليهود وكذبهم* " [1] وجّه لهم فيه أقسى العبارات بسبب معاداتهم للمسيحية . وجاء الرد اليهودي بعد أربعة قرون في كتاب بيتر فينر بعنوان : " *مارتين لوثر - الجدّ الروحي لهتلر* " [2] . ويذكر فينر أن من أحد أسباب كتابته سيرة هذا الرجل هو أمله " بتحطيم " أسطورة لوثر ، الذي كان يعظ ويمارس العداء العنيف للسامية وإبادة اليهود بشكل لم يسبقه حتى هتلر ! . ولوثر ، من وجهة نظره ، كان مصاباً باختلال عصبي وهلوسة هيذانية وتشويش عقلي . كما يعيب فينر على رجال الدين البروتستنات الألمان أنهم بقوا لمدة أربعة قرون كاملة يتلقون الأوامر من تلك الشخصية السوداء مارتين لوثر .

ريتشارد فاغنر : في عام 1850 نشر الموسيقار والملحن العالمي فاغنر مقالة نقدية مطولة في مجلة متخصصة بالموسيقى [3] يشرح أسباب النفور اللاإرادي الذي يتملك المجتمعات الغربية من طبيعة وشخصية اليهود ومظهرهم الخارجي ، ويصف فيها موسيقاهم وغناءهم وفنونهم (كما هو الحال في موسيقى مندلسون) بالمصطنعة والسطحية والمجردة من الإحساس . فاليهودي يتكلم لغة الأمة التي يعيش فيها قرناً بعد

1 On the Jews and their Lies by Martin Luther
2 Martin Luther Hitler's Spiritual Ancester by Peter Wiener
3 Das Judentum in der Musik ,
4 Wagner's Hitler: The Prophet and his Disciple by Joachim Koehler ,2001
5 The Controversy over Richard Wagner by Lili Eyton

قرن كشخص غريب ، ويتكلم اللغات الأوروبية المعاصرة كمتعلم لها وليس كلغة الأم ، وهكذا ، فإن مجمل الفنون والحضارة الأوروبية بقيت بالنسبة له غريبة . ورغم احتكاك اليهود بالشعوب الأوروبية لحوالي ألفي عام ، لم تفلح الحضارة (الأوروبية) في اختراق عناد اليهودية المتعلقة بغرابة النطق للغة اليهود ؛ وهذا ما ينعكس على قراءة الشعر والغناء والتعبير الفني . ويشير فاغنر إلى انه وفق الأعراف الحالية في هذا العالم ، فإن اليهودي هو أكثر من متحرر ، فهو يحكم وسوف يحكم طالما أن المال يبقى القوة التي تفقد أمامها كل الأفعال والتعاملات قواها . فبالنسبة له يعتبر اكتساب المال من دون جهد فعلي ، أي الربا ، الحرفة الوحيدة . فمنذ أن وجد ذلك التحول الاجتماعي الذي رفعت فيه المجتمعات المال إلى مرتبة النبلاء ، لا يمكن حجب فضل اليهود على هذه المجتمعات الجديدة التي لا تحتاج إلى شيء سوى الذهب . ومرة أخرى ، كان على المؤرخين والكتّاب اليهود المتطرفين الانتظار 150 عاماً ليفرغوا شحنات الحقد المكبوتة على واحد من أبرز موسيقيي العالم . وبالطبع ، أقحم هتلر والنازية في الأمر باعتبارهما مادتين دسمتين في الأدبيات اليهودية المعاصرة . ففي عام 2000 ، صدر كتاب يواخيم كولر بعنوان بارز " فاغنر و هتلر : النبي وحواريه " [1] يشرح فيه الكاتب الدور المؤثر لذي لعبه فاغنر في تشكيل الخلفية السياسية والاجتماعية و الثقافية التي تطورت النازية الهتلرية على أساسها ، ومدى تأثيره على أحلام دكتاتور مصاب بجنون العظمة في رؤية ألمانيا تقود العالم . أما الكاتبة أيلون [2] فترى أن فاغنر قد عاش لعدة عقود قبل ولادة النازية ، ولكن تأثيره على الحركة القومية الاشتراكية وقادتها كان هائلاً . والنظرة العامة لدى اليهود ان ريتشارد فاغنر كان الأب الروحي لمجمل الأيديولوجية النازية وخاصة المتعلقة منها بالعداء للسامية . وفي عنوان مثير يتساءل أدريان موربي في صحيفة الغارديان[3] - هل يمكن أن نسامحه ؟ - ويقول : "*ما يتذكره الناس في هذه الأيام من مرحلة فاغنر شبه الفلسفية هو جدله بأن اليهود مسؤولين عن معظم الأخطاء في الفن وفي المجتمع . ورغم أن فاغنر لم يحرّض على المحرقة – فقد مات قبل أن يولد هتلر – فمما لاشك فيه أن موسيقاه قد تم تبنيها من مهندسي الدمار الشامل ! الألمان* " . ويذكر موربي أن الأكاديمي الأمريكي بول لورنس روز يقترح

6 Adrian Mourby July 21, 2000 , The Guardian

على اليهود التأكد من عدم مسامحة فاغنر على الإطلاق . وهكذا ، فليس مستغرباً إذاً أن تمتنع دار الأوبرا الإسرائيلية عن تقديم أي من عروض ريتشارد فاغنر إلى يومنا هذا .

هنري فورد : الشيء الذي يعرفه العالم عن فورد أنه صناعي كبير ورائد من رواد صناعة السيارات في العالم . أما الذي لا يعرفه العالم ، و بسبب الهيمنة اليهودية على قطاع الإعلام الأمريكي ، فهو أنه من كبار دعاة السلام وأنه في عام 1916 قاد ، مع عدد من المثقفين ، حملة إلى أوروبا لوقف مجازر الحرب العالمية الأولى والتوسط لعقد معاهدة سلام . وبالطبع ، لم تحظ هذه الحملة بأي نجاح . كما وصرح أيضاً في مقابلة صحفية في عام 1938 : "*يريد هؤلاء الممولين الحرب ليصنعوا المال من مثل هذه الصراعات وعلى حساب بؤس البشرية التي تسببها الحروب* " . و يشير بعض المقربين منه ، أنه بدأت تتولد لديه قناعات راسخة أن هناك من يحاول جر الولايات المتحدة إلى الحرب وعلى رأسهم المصرفيين اليهود . ففي عام 1920 ، بدأ بنشر مقالات متتالية في مجلة " ديربورن إندبندنت " تحمل عنوان - *اليهودي الدولي* - [1] ، تم جمعها لاحقاً في أربعة مجلدات . وتتناول مقالات فورد جميع المناحي التاريخية والاجتماعية والمالية والثقافية لليهود وتأثيرهم على الولايات المتحدة والعالم . والواضح ، أن فورد كان يحاول أن يثبت عن طريق الشواهد والوقائع الموثقة والأحداث بأن – بروتوكولات حكماء صهيون – ليست مزورة أو ملفقة ، كما تدعي المنظمات اليهودية والصهيونية ومؤرخوها . ففي عام 1921 ، ورداً على سؤال صحفي حول مدى قناعته بخطة اليهود للهيمنة على العالم كما ذكر في البروتوكولات ، أجاب : " *الشيء الوحيد الذي يمكنني قوله حول البروتوكولات أنها تنسجم مع مايجري حولنا . إن عمر البروتوكولات ستة عشر عاماً (آنذاك) وقد انسجمت مع أوضاع العالم حتى هذا الوقت ، وهي منسجمة الآن* " .

وكان من البديهي أن تتصدى المنظمات اليهودية القوية آنذاك لفورد وتطالبه بالاعتذار والتوقف عن الكتابة حول اليهود وسحب أعداد المجلة والكتب من التداول ؛ ويبدو أن

1 The International Jew in "Dearborn Independent "

شيئاً من هذا قد حدث . لم يكن ذلك كافياً لإشباع رغبة التشفي والانتقام من فورد ولو اقتضى الأمر سنوات أو عقود أو حتى قرون لأصحاب المقولة " *لن ننسى أبداً* " [1] . كان لابد من فك الارتباط بين اسم هذا الصناعي الكبير واحترام وتبجيل الشعب الأمريكي له . فعندما قرر البعض الرد مباشرة على مقالات - اليهودي الدولي – نصحهم المليونير جاكوب شيفّ بالتريث حتى يتم نسيان الموضوع لأن شن هجوم آني على فورد ، على حد قوله ، قد يؤدي إلى عكس النتائج المتوخاة . إن ماقصده جاكوب شيف آنذاك ، هو نسيان الموضوع من ذاكرة الشعب الأمريكي وليس على الإطلاق من ذاكرة يهود العالم ومنظماتهم .

الرد اليهودي جاء بالطبع في وقت مناسب للوصول إلى النتائج المتوخاة . فبعد انتهاء الحرب العالمية وانكسار ألمانيا وموت هنري فورد ، خلت الساحة لمؤرخي وكتّاب المحرقة . والمتابع لما كتبه هؤلاء حول فورد سيلحظ أولاً أن ردودهم لم تكن ، وكالعادة ، عن طريق تفنيد ما كتبه فورد بالحجة العلمية بل عن طريق التشهير والتجريح بقصد الانتقام ، كما يلاحظ أن حدة تجريحهم له تتنامى مع مرور الوقت . ففي مقالة صدرت مؤخراً (2007) في اللوموند ديبلوماتيك للمؤرخ اليهودي مايكل لوفي [2] تحمل عنواناً مثيراً - بطل هتلر : هاينريش فورد - . ولايخفى على أحد مدى تشابه هذا العنوان مع عناوين الكتب المنشورة عن لوثر وفاغنر من ربط أسماء هؤلاء باسم هتلر . والطريف في الأمر ، أن يحرّف لوفي اسم هنري إلى هاينريش (أراد المؤرخ بهذا التحريف أن يضفي على فورد الصفة الألمانية أوالنازية) علماً بأن هذا المؤرخ نفسه برازيلي المولد ، فرنسي الجنسية واسمه الألماني ينمّ عن جذوره الألمانية ! . ويذكر لوفي أن كتاب فورد – اليهودي الدولي – كان من الكتب المفضلة لدى هتلر ، ويستشهد بمقالة لأحد الصحفيين بأن هتلر كان يعلق صورة هنري فورد على جدار أحد مكاتبه . ليس هذا فحسب ، بل يذهب أبعد من ذلك إلى اتهام الولايات المتحدة مؤكداً أن عقيدتها العلمية وممارساتها العنصرية السياسية والقانونية عبر التاريخ كان لها تأثير معتبر على الفكرالألماني النازي .... مثل الارتباط التاريخي بممارسة الرق والعبودية والتصنيف العنصري بين البيض والسود .

أما المؤرخ وكاتب السِير الذاتية نيل بولدوين فيذكر في كتابه - <u>هنري فورد واليهود : الانتاج الجماعي للكراهية</u> - [3] بأن فورد لم يكن واحداً من أكبر صناعيي أمريكا

---

2 We Shall never forget المقولة الشهيرة للمتطرفين اليهود وعنوان كتاب أبراهام فوكسمان

3 Hitler's Hero : Heinrich Ford by Michael Loewy and Eleni Varikas

4 Henry Ford and the Jews: The Mass Production of Hate , by Neil Baldwin

فحسب ، بل كان من أكبر المفعمين بالكراهية .. فعاطفته المتقلبة وموارده المالية الهائلة جعلته شهيراً في بلده والعالم في عدائه المسعور للسامية . و يبدو أن الصحافي الأمريكي - اليهودي ماكس والاس [1] كان يسعى إلى سبق صحفي وشهرة إعلامية تتخطى من سبقه من المؤرخين والكتاب ، وفي الوقت ذاته تحقيق مزيد من الانتقام لأبناء جلدته . ففي كتابه " *المحور الأمريكي : هنري فورد وتشارلز ليندبيرغ ونهوض الرايخ الثالث* " يسلط سهامه ليس على رائد صناعة السيارات الأمريكي فورد فحسب ، بل على رائد الطيران ليندبيرغ أيضاً .

الصحفي والس يذهب خطوات أبعد وصولاً إلى اتهام فورد بالتعاون العسكري مع النازية أثناء الحرب العالمية كما يبدو واضحاً من المقتطفات التالية : "*كانت شركته تساهم بشكل هائل في آلة الحرب الألمانية ، وعلى مايبدو ، بمباركة من هنري فورد* " و " .. *ولكون فورد من المتعاطفين مع النازية ، فقد استخدم نفوذه لإضعاف المقدرة التسليحية البريطانية أمام ألمانيا النازية ولإبقاء الولايات المتحدة خارج دائرة الحرب* " و " .. *وبعد دخول الولايات المتحدة الحرب ، وفي الوقت الذي كان فيه الحلفاء يعتمدون فيه على شركة فورد في صناعة بعض أهم الأسلحة ... المرتبطة بقاذفة القنابل ب-22 ، كان هناك سوء إدارة من الشركة في تنفيذ البرنامج مما انعكس سلباً على مجهودات الحلفاء الحربية* " . ويقترب والس في كتابه من اتهام فورد بالجاسوسية أو التستر على جاسوس ألماني ، ممهداً بذلك الطريق لمؤرخ يهودي آخر ، ولو بعد عدة عقود ، ليثبت أن فورد كان من طليعة الجواسيس النازيين في الولايات المتحدة . فهو يقول : " *... لم يطرد فورد مساعده الخاص وأمين سره إرنست ليبولد من الشركة وحتى بعد أن علم أن ليبولد كان على الأرجح جاسوساً لألمانيا النازية ... هذا التساهل ليس مستغرباً ، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن فورد قد تدخل لمنع الحكومة الأمريكية من إلقاء القبض على مساعده الذي كان يشكل خطراً على الأمن القومي* " .

---

1 The American Axis: Henry Ford, Charles Lindbergh, and the Rise of the Third Reich by Max Wallace ,2003

2 The Nazi Connection to Islamic Terrorism: Adolf Hitler and Haj Amin al-Husseini by Chuck Morse , 2003

3 The Arab / Muslim Nazi Connection by Paul Longgrear, Raymond McNemar

وإضافة إلى فورد ، يتهم والاس في كتابه تشارلز ليندبيرغ بالتعصب والانحياز للنازية الأمر الذي كان له أثر مدمر على اليهود . ولمن لايتذكر الطيار تشارلز ليندبيرغ ، فهو بطل عالمي حاز على العديد من الأوسمة الأمريكية والدولية لعبوره المحيط الأطلسي منفرداً ، لأول مرة في التاريخ ، في عام 1927 . وكان من كبار الداعين إلى حيادية الولايات المتحدة في الحرب العالمية الدائرة في أوروبا . وفي إحدى خطبه الشهيرة في عام 1941 بيّن ليندبيرغ أن هناك ثلاث مجموعات تضغط وتحرض على دخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانب الحلفاء ، البريطانيون واليهود وإدارة روزفلت ؛ وذكر أن خطر اليهود الأكبر هو امتلاكهم وتأثيرهم الإعلامي سواءً في الصحافة والسينما والبث الإذاعي إضافة إلى نفوذهم على الإدارة الأمريكية . فكل من يعارض الحرب يصبح في عرف الإعلام خائناً وطابوراً خامساً للنازية ومعاد للسامية . وكان مثل هذا الخطاب كافياً لإلحاق ليندبيرغ بالركب الهتلري والنازي في العديد من كتب المؤرخين والصحافيين اليهود .

الحاج أمين الحسيني : لن أتوقف كثيراً عند الحاج أمين الحسيني ، فهو بالنسبة للقارىء العربي أكثر من معروف . ما يهمني هنا أن أقدم نموذجاً عربياً إضافياً إلى النماذج الآنفة الذكر حول نمطية كتابة تاريخ السيرة الذاتية لكبار الشخصيات من قبل المؤرخين والانتليجنسيا اليهودية المعاصرة . كتاب تشَك مورس بعنوان - *ارتباط النازية بالإرهاب الإسلامي : أدولف هتلر والحاج أمين الحسيني* - [1] يقدم مثالاً فريداً ليس لمجرد ربطه الحسيني بهتلر بل أيضاً الإرهاب الإسلامي بالنازية الألمانية . فالحسيني ، وفق ناشر الكتاب ، كان وغداً كبيراً مثله مثل هتلر . الحسيني هو مفتي الفوهرر و فوهرر العالم العربي ، كما يسميه الكاتبان بول لونغرير ورايموند ماكنيمار [2] في مقالة بعنوان " *الارتباط بين العرب | المسلمين والنازيين* " حيث يرويان : " *إن* (الحسيني) *خلال زيارته لمعتقل أوشفيتز ، كان يؤنب الحراس الذين يشغلون غرف الغاز ويحثهم على عدم التقاعس في عملهم !* " .

غرف الغاز في أوشفيتس ، تبعاً للمؤرخين اليهود ، لم تكن حكراً على النازية والحسيني والإرهاب الإسلامي بل تتعداها إلى الديانة المسيحية . فقد كتب واين سيمبسون [1] أنه : " *.. لولا أن قصم ظهر الكنيسة الدومينيكانية وشوهت سمعتها وزال تأثيرها ... بسبب الإصلاح الديني في القرن السادس عشر .... يمكن لنا أن نتخيل أن الكنيسة ، جنباً إلى جنب النازيين ، ... كانت ستملأ غرف الغاز* (باليهود) *أثناء الحرب العالمية الثانية بدلاً من صمتها والسماح بحدوث المحرقة .."* .

كيف يتعامل الاعتذاريون اليهود من الكتّاب والمؤرخين والصحافيين عند ظهور حقائق جديدة لم تكن متوقعة بالنسبة لهم أو لمنظماتهم الصهيونية ؟ وكيف يمكن لهؤلاء أن يتصرفوا بعد سنوات أو عقود من المديح والثناء والتبجيل لشخصية ذات وزن سياسي وعالمي أدت خدمات جلى لليهود أو إسرائيل ثم يكشف الأرشيف أو المذكرات الخاصة أن هذه الشخصية أو تلك لم تكن ، في الواقع ، تكِنّ للمجتمع اليهودي أي تقدير أو احترام بل كانت تنعت اليهود سراً بكل ما هو شائن وقبيح ؟ الأمر محرج بلا شك . هذا ما حدث فعلاً مع بعض رؤساء الولايات المتحدة وغيرهم من رؤساء الدول الأوروبية " الصديقة " لإسرائيل أو في مستواهم . لا بد هنا أن تتفتّق عبقرية أصحاب نظرية العداء للسامية عن مصطلحات جديدة أكثر ليونة أو تفريخ معايير تتلاءم مع الوضع الطارىء . لآمثال هؤلاء القادة لا بد من التمييز بين نقدهم لليهود أو سياسات إسرائيل وبين الدعوات الهادفة لمحو إسرائيل أو تشريد اليهود . من هذه المصطلحات الجديدة " العداء الثقافي للسامية " و "العنصرية الثقافية " و " العداء العملياتي لليهود " وهي مشتقات منمقة من العداء التقليدي . لنستعرض بعض النماذج لمثل هذه الحالات .

قبل سنوات قليلة تم الكشف صدفة عن مخطوطة لمذكرات الرئيس الأمريكي الأسبق هاري ترومان ، يبدو أنها أثارت صدمة عنيفة ليهود العالم وأقطابهم ومنظماتهم . فمن بين ما كتبه ترومان ، في عام 1947 ، حول هجرة اليهود إلى فلسطين [2] : "*إنني أجد اليهود في منتهى الأنانية . إذ لايهمهم كم من الأستونيين واللاتفيين والفلنديين والبولنديين*

---

1 **A Profile of a Righteous Gentile by Wayne Simpson**

2 **لنتذكر أن ترومان قد أعترف بحكومة إسرائيل بعد أحد عشرة دقيقة فقط من إعلان قيام دولة إسرائيل في 14 أيار \ مايو 1948 ، الأمر الذي لاينساه يهود العالم !**

واليوغسلاف أو اليونانيين يقتلون أو تساء معاملتهم .... طالما يلقى اليهود معاملة خاصة " كما يذكر : " *... وعندما يمتلكون* (اليهود) *القوة المادية أو المالية أو السياسية ، لايتمكن هتلر أو ستالين من إدانتهم في قساوتهم وسوء معاملتهم لمن دونهم شأناً ...* " .

لنلاحظ كيف يتعامل اليهود الاعتذاريون مع مثل هذا التصريح القاسي للرئيس الأمريكي الصديق مقارنة مع ردود أفعالهم تجاه الشخصيات الأخرى التي سبق ذكرها ؟ . تعلق سارة بلومفيلد ، مديرة المتحف الأمريكي لضحايا الهولوكوست على كلمات ترومان : " *كان العداء – الثقافي - للسامية أمراً مألوفاً في جميع أنحاء الولايات المتحدة آنذاك . كانت هذه طريقة مقبولة في التعبير* ! " . وللمفارقة ، لم تكن هذه الطريقة مقبولة في التعبير ، تبعاً لرأي السيدة بلومفيلد ، بالنسبة لهنري فورد وتشارلز ليندبيرغ الأمريكيين . فعداء هؤلاء للسامية إجرامي ونازي وليس عداءً ثقافياً كان مألوفاً في جميع أنحاء الولايات المتحدة . ويساير بلومفيلد في رأيها أبراهام فوكسمان ، مدير التحالف ضد التشهير اليهودية في أمريكا [1] ، وإن كان بتعبير منمق ودبلوماسي ويحمل نفس التفسير الجديد للعداء للسامية والخاص بالقادة ! : " *... وبينما تمثل الأفكار الشخصية لترومان ، بشكل أو بآخر إنعكاساً لعصره ، يبدو الأمر مؤلماً أن نعلم* (الآن) *أن ذلك القائد الأمريكي الكبير كان مصاباً بنفس مرض العداء للسامية الذي كان صدى لمجتمع أكبر ... وبغض النظر عن اعتقاده الشخصي ، سنتذكر الرئيس ترومان من خلال دعمه واعترافه بوطن لليهود ودولة إسرائيل* " . وأغلب ظني أن فوكسمان كان يعضّ على نواجذه عند كتابته تعليقه المهذب هذا . فهو حتماً قد قرأ ، مثلي أيضاً ، ما كتبه ترومان في موضع آخر من مذكراته بعد لقائه مع وزير المالية السابق اليهودي هنري مورغنتو : "*لقد قام هنري بإحضار ألف يهودي إلى نيويورك وعلى أساس مايزعم أنه حلّ مؤقّت* (تمهيداً لترحيلهم إلى فلسطين المنتدبة من بريطانيا) *وها هم بقوا فيها* " . ولا بد أن فوكسمان قد فهم أيضاً من هذا التعليق أن دعم ترومان واعترافه بوطن لليهود في فلسطين لم يكن من قبيل الحب والتعاطف بقدر ما هو رغبته بالخلاص منهم وإرسالهم إلى أرض الميعاد ، وعلى صدى ما قاله الفيلسوف الأوروبي يوهان غوتليب فيشته قبل أكثر من قرن بحق اليهود : "*وإنني لا أرى وسيلة أخرى لحماية أنفسنا منهم إلا بالاستيلاء على أرض ميعادهم ومن ثم ترحيلهم إلى هناك* " .

---

3 Anti-Defamation League , ADL , 3 July 2003

واقعة أخرى محرجة واجهها كتبة التاريخ ومنظمات التطرف اليهودي مؤخراً ، تتعلق بشكل أساسي بالرئيس السابق ريتشارد نيكسون . فكما العادة يتم تقييم أي رئيس ، وفق ما يقدمه هذا الرئيس أو ذاك لإسرائيل خاصة ولليهود في العالم عامة وليس بالضرورة لبلده الأمريكي . ووفق الإشارات الواردة من تل أبيب في الماضي ، فإن نيكسون هو " صديق حقيقي لإسرائيل " . هذا ما صرح به إسحق رابين وهذا ما كتبته غولدا مايير في مذكراتها من قبله . هذا الثناء على نيكسون له مبرراته

– نيكسون هو من أنقذ إسرائيل المحاصرة ، في حرب تشرين (يوم كيبور) 1973 ، عن طريق أكبر جسر جوي من العتاد والأسلحة في تاريخ البلدين .

- نيكسون هو من جعل إسرائيل أكبر متلق للمساعدات الخارجية الأمريكي

- ونيكسون هو من ألحق بإدارته عدد كبير من اليهود : هنري كيسينجر، آرثر بيرنز،هربرت شتاين ، وليم سافير ، لاري سيلفرمان ، أرنولد وبير ، ريتشارد ناثان و ليونارد غارمينت وكثيرون غيرهم

إذاً ، ليست هناك مؤشرات تدل على أن هذا الرئيس من الكارهين لليهود أو المعادين لإسرائيل .

التسجيلات الصوتية التي كشف عنها الأرشيف الوطني الأمريكي ، مؤخراً وعلى التوالي ، لمحادثات نيكسون مع بعض المقربين منه قلبت الطاولة على رأس يهود الدولتين الحليفتين .

ففي إحدى التسجيلات يقول نيكسون لمساعده ، كبير موظفي البيت الأبيض هالديمان : " *... إن واشنطن مليئة باليهود ... ومعظمهم يفتقرون إلى الولاء* " ؛ وبعد أن استثنى كبار مساعديه كيسينجر وسافير وغارمنت من هذه الصفة ، أضاف : " *وبشكل عام لايمكنك الوثوق بأولاد الزنى هؤلاء ، فهم سينقلبون عليك ..* "

وفي تسجيل آخر لحديث جرى ، في عام 1972 ، بين نيكسون والقس بيلي غراهام في البيت الأبيض ، يقول غراهام : "*إن علينا تحطيم هذا الاحتكار* (أي هيمنة اليهود على الإعلام الأمريكي) *وإلا سيذهب البلد إلى الحضيض* " . ويجيبه نيكسون : " *وأنا أيضاً ، لايمكنني التصريح بذلك وإن كنت أؤمن به* " .

ومرة أخرى كان أبراهام فوكسمان مكرهاً على ارتداء قفازه الحريري والرد على نيكسون من دون إلصاق تهمة اللاسامية به : " *لقد قام نيكسون بدعم ومساعدة إسرائيل أثناء رئاسته ، ومن المفارقة أن نكتشف مرة ثانية أن صديق إسرائيل كان ، في*

الواقع ، غير متسامح مع اليهود " . أما رده على القس غراهام ، الأقل شأنا بنظر فوكسمان ، فكان كالآتي : " *إنه لمن المخجل أن يكون واحد من أكثر القادة الدينيين احتراماً والمرشد الروحي للعديد من رؤساء الولايات المتحدة ، من معتنقي وأتباع أولئك المروّجين للعداء التقليدي والقديم للسامية* " .

الصفعة الأحدث لإسرائيل وكتبتها ومنظماتها المتطرفة في الولايات المتحدة جاءت مؤخراً من رئيس سابق آخر ، جيمي كارتر .

في تشرين ثاني \ نوفمبر 2006 نشر كارتر كتابه " *فلسطين : سلام لا تمييز عنصري* " وبين فيه أن استمرار تحكم وهيمنة إسرائيل على الأراضي الفلسطينية لايزال العائق الأول أمام سلام شامل هناك . وربط سياسات إسرائيل بسياسات جنوب إفريقيا العنصرية السابقة .

وكما جرت العادة ، كان لا بد من أن يتصدى الصوت اليهودي الأبرز في أمريكا مرة أخرى ، وعلى لسان أبراهام فوكسمان ، بمقاربة جديدة تناسب التوجه السياسي الحالي : " *في الوقت الذي ينتشر فيه التطرف الإسلامي بلا رقابة ، من قنابل انتحارية تلوث المدن في أوروبا وآسيا والشرق الأوسط و تصريحات إيرانية بمحو إسرائيل من الخارطة وتطوير أسلحتها النووية لتحقيق ذلك و الهجمات الصاروخية لحزب الله وحماس على إسرائيل ، فإن ما يثير الصدمة هو فقط رؤية كارتر ان إسرائيل هي الجهة المسؤولة عن الصراع بينها وبين الفلسطينيين ... ومن المؤسف أن يسعى السيد كارتر إلى استعمال نفوذه بهذه الطريقة* " [1] . ومن الواضح أن فوكسمان وغيره من الرسميين اليهود بدأ يعي شيئاً فشيئاً أن مصطلح العداء للسامية والنازية ، في مثل هذه الحالات ، قد استهلك وفقد مفعوله السحري مع مرور الوقت . ومع ذلك ، فردّ فوكسمان " المهذب " لا يمنع المتطرفين اليهود الأمريكيين من النيل من نزاهة ورجاحة عقل رئيسهم " الأمريكي " ، طالما أن المسألة تتعلق بالحكومة "الإسرائيلية " وأن الأمر لايتعلق بتصريح عابر بل بكتاب مطبوع يوزع ويناقش على مستوى العالم . ألان ديرشوفيتس ، أستاذ القانون الجنائي في جامعة هارفرد ، له رأي أخر حول دوافع كارتر في تهجمه على سياسة إسرائيل العنصرية : "*الارتباطات المالية الهائلة التي تم الكشف عنها مؤخراً بين كارتر والمال النفطي العربي ، وبخاصة من المملكة العربية السعودية ، قد زعزعت ثقتي باستقامة هذا الرجل . وعندما علمت أنه تلقى مكافأة مالية*

1 **Judging a Book by its Cover and its Content , by Abraham Foxman , Nov. 2006**

من الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان.... لم أصدق ذلك . إذ كيف يمكن لرجل بمثل هذه الاستقامة - الظاهرة - أن يثرى من مال قذر ومن مثل هذا المصدر القذر .... لقد تلقى كارتر أيضاً ضمانة بمبلغ مليون دولار أمريكي من أسرة بن لادن ومقرها السعودية "
[1] .

ويبدو أن الحاخام شمولي بوتيش لايرى الأمر مرتبطاً بالمال العربي القذر بقدر ما هو مرتبط بحالة مرضية أصابت الرئيس الأمريكي السابق : "*لربما يكون جيمي كارتر الرئيس الأتعس حظاً في التاريخ الأمريكي ، وفي أيامنا هذه ، يصنفه معظم مؤرخي الرؤساء الأمريكيين في مؤخرة القائمة أو بقربها . ... هو ليس معاد للسامية وليس رجلاً سيئاً بقدر ما هو رجل مشوش الذهن .. ويفتقد للحكمة ، وسطحيته تجعله غير قادر على التمييز إطلاقاً بين الصواب والخطأ ...* " [2] .

وبما أن حرية التعبير يكفلها الدستور الأمريكي ، لا يجدالمعلق الإذاعي (الأمريكي-اليهودي من أصل روسي !) مايكل سافيج حرجاً من التصريح مباشرة وعلى الهواء : " *إن كارتر هومجرم حرب وكاره لليهود ويشبه هتلر . وهو ابن زنا شيوعي معاد للأمريكيين ومعاد للسامية .... وهو من تسبب في انتشار الإرهاب الإسلامي في العالم ..* " ثم يتساءل : " *لماذا لايهبّ اليهود ويبصقوا في وجهه ؟* " [3] .

ولكن ماذا لو كان المنتقد لليهود أو إسرائيل يهودياً ، أمّاً عن جدة ؟ . لأمثال هؤلاء ابتدعت مصطلحات خاصة من قبيل " الكارهون لذاتهم " [4] أو " يهود يسعون لمحرقة ثانية " ، كما يبين ذلك فيرنر كون ، استاذ علم الاجتماع في جامعة بريتيش كولومبيا : " *... هناك بعض اليهود ممن أداروا ظهورهم لشعبهم ونطلق على مثل هؤلاء الكارهون لذاتهم* " [5] . وفي المقابل ، قامت منظمة يهودية ، تسمي نفسها ماسادا 2000 ، بنشر قائمة سوداء تتضمن حوالي 8000 شخص ممن تعتبرهم المنظمة من الكارهين لذاتهم و / أو المهددين لإسرائيل . وأطلقت على هذه القائمة إسماً

2 The Real Jimmy Carter by Alan Dershowitz , Front Page Magazine 30 April 2007
3 Shmuley Boteach , Jerusalem Post , 26 Dec. 2006
4 Talk Radio Network, The Savage Nation ,16 May 2006
5 Self hating Jews
6 Partners in Hate: Noam Chomsky and the Holocaust Deniers by Werner Cohn , 1995

مختصراً " شيت " أو مايمكن ترجمته إلى العربية " براز" في حملة متعمدة من التشهير البذيىء [1]

إن من مشاهير الكارهين لذاتهم الذين يذكرهم المؤرخون اليهود في كتبهم ، ممن تنصلوا من الدين اليهودي وكتبوا عن دور التلموديين وتأثيرهم السيء على أتباعهم هو الألماني جوزيف بفيفركورن [2] الذي اعتنق المسيحية في مطلع القرن السادس عشر وكتب عدة مؤلفات حول اليهود وديانتهم ومن بينها نشرة بعنوان – مرآة التحذير – ذكر فيها إن عدم اعتراف اليهود بالمسيحية مصدره التلمود وأوصى بمصادرته وحرقه . كان هذا كافياً ليصبح أكبر عدو لليهود ومؤرخيهم . ففي كتاب " تاريخ التلمود" (ترجمة مايكل رودكينسون ، 1918) يذكر أن الرهبان الدومينيكان المتعصبين وأعداء الدين اليهودي هم من أقنعوه آنذاك بكتابة هذه النشرة ، وليصبح " بفيفركورن جاهلاً ومحدود المعرفة وعلى اطلاع محدود بالكتابات اليهودية وآدابها . وقد اعتنق الكاثوليكية تفادياً للعقوبة بسبب إتهامه بالسرقة ! " . نموذج آخر يذكره المؤرخ سيمون دوبنوف ، في كتابه تاريخ اليهود في روسيا وبولندا : " *إنه في أواخر الستينات من القرن التاسع عشر ظهر جاكوب برافمان [3] في مدينة فيلنا (الليتوانية) ليقدم خدماته للسلطات الروسية كمخبر وجاسوس على اليهود . وكان هذا الرجل قد*
هجر دينه اليهودي وعرقه آملاً الهرب من قبضة الكاهال [4] الذين حاولوا سوقه للخدمة العسكرية . وقد أراد برافمان ليس الانتقام من الكاهال فحسب بل من مجتمعه اليهود ككل " [5] .

---

7 Massada 2000 , (S.H.I.T.= Self-Hating and/or Israel-Threatening
8 Joseph Pfefercorn

1 Jacob Brafman

2 Kahal لجنة تنفيذية يتم انتخابها من بين الأقلية اليهودية لإدارة شؤونهم الذاتية أينما وجدوا

3 - سيمون دوبنوف هذا ، والذي يعتبره اليهود كواحد من أعظم مؤرخيهم في العالم والمصدر الرئيس لتأريخ اليهود وبخاصة في فترة روسيا القيصرية ، تذكر المراجع بعضاً من سيرته الذاتية . فقد ولد في روسيا البيضاء ودرس أولاً في المدارس اليهودية الدينية ولم يتمكن من إكمال تعليمه العالي بسبب إلغاء السلطات القيصرية الروسية المعاهد اليهودية الرسمية واضطر إلى تعليم نفسه . وفي عام 1880 استخدم وثائق مزوّرة ليتمكن من الانتقال إلى مدينة سانت بطرسبورغ التي كان محظوراً على كثير من اليهود دخولها . ولا بد هنا من أن نطرح تساؤلا مشروعاً عن مدى صدقية واحد من أعظم المؤرخين اليهود ، بل وصدقية من اقتبس عنه من المؤرخين والكتّاب المعاصرين في كتبهم ومجلاتهم وموسوعاتهم وهو المستخدم لوثائق مزوّرة في تنقله وهو من أطلق صرخته الشهيرة ليهود العالم ، في عام 1941 : " أيها اليهود ، اكتبوا وسجلوا ! " .

4 Seven Pillars of Jewish Denial , Kim Chernin ,2004

وإذا كان بفيفركورن وبرافمان قد كتبوا في اليهود ما كتبوا لأسباب دينية ، فعصرنا الحالي يشهد انتقادات لاذعة لليهود والصهيونية تعود لأسباب أخلاقية . فبعد إنشاء دولة إسرائيل وتولي قطاع من يهود العالم زمام حكم أنفسهم وحكم الآخرين من غير اليهود ، بدأ أسوء أنواع الاضطهاد يمارس من اليهود أنفسهم بحق الشعب الفلسطيني على وجه الخصوص . وقد تفتحت عيون بعض المثقفين المتنورين داخل إسرائيل وخارجها على واقع جديد وأليم . فالاضطهاد الذي عانوا منه في أنحاء العالم ، والذي كتب عنه مؤرخوهم وكتّابهم ورجال دينهم وتهربوا من تحليل أسبابه الموضوعية أصبح يمارس على الآخرين . وبدأ هؤلاء المتنورين بتوجيه الانتقاد إلى تصرفات الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة ولمنظمات الضغط السياسي في الخارج بل وإلى التوجهات الدينية المتطرفة التي يقودها مجموعة من الحاخامات التلموديين . وقد تكون الأديبة الأمريكية – اليهودية كيم تشرنين أفضل من كتب في نقد اليهود وإسرائيل من زاوية تحليلية نفسية . فبعد أن كانت ، كما تذكر ، صهيونية إلى العظم هاجرت إلى إسرائيل لتعيش تجربة " الكيبوتز " على الحدود اللبنانية والسورية ، تكشفت لها حقائق جديدة عن معاناة الفلسطينيين واضطهادهم وعن حقيقة أنها كانت تعيش على أرض كانت ذات يوم أرضاً فلسطينية . وفي تحليلها المسهب عن أسباب هروب اليهود من مواجهة الحقائق المرّة هذه تقول : " *لدينا اعتقاد دفين أن تعرضنا لقدر كاف من العذاب يمنحنا الحق باستخدام العنف وهو يودي بنا إلى القناعة بأن معتقداتنا وأيديولوجيتنا* (أو لاهوتيتنا الدينية) *أهم من حياة الآخرين من البشر* " . ثم تتساءل : " *هل يمكننا مواجهة الحقيقة أننا نستغل الهولوكوست كمهرب من رؤية أفعالنا المرعبة ؟ وهل يمكننا مواجهة فكرة أننا نستغل ستة ملايين يهودي ونختبىء خلفهم ... مستفيدين من تضحياتهم للدعاية الإعلامية ؟* " [1]

ليست تشرنين وحدها من راجعت ذاتها و زالت الغشاوة عن عينيها ، ففي الولايات المتحدة تدور اليوم حرب مفتوحة بين أكاديميين ومثقفين ومؤرخين يهود متنورين من جهة وبين زملاء لهم من أنصار إسرائيل والمنظمات اليهودية والصهيونية المساندة لهم من جهة أخرى ورغم عدم تكافؤ الفرص الإعلامية والسياسية والمالية بين الطرفين .

النقد السياسي والاجتماعي الأقوى لليهود والصهيونية وإسرائيل جاء من نورمان فينكلشتاين ، أستاذ العلوم السياسية في جامعة دو- بول الأمريكية ، والمفكر والناقد السياسي نوآم تشومسكي ، أستاذ اللغويات في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا و إسرائيل شاهاك ، أستاذ الكيمياء في الجامعة العبرية و الرئيس السابق لجمعية حقوق الإنسان الإسرائيلية .

ألف فينكلشتاين عدداً من الكتب السياسية والنقدية أهمها " *صناعة الهولوكوست : انتقادات حول استغلال معاناة اليهود* " ، وكتاب " *ماوراء الجرأة الوقحة : حول سوء استخدام العداء للسامية وسوء التعامل مع التاريخ* " [1] . ويتهم فينكلشتاين في كتاباته الجماعات الصهيونية بخطف تاريخ النازية في مجال القتل الجماعي ، كما يبين أن الحملة الحالية لصناعة الهولوكوست تهدف إلى شفط الأموال من أوروبا تحت اسم الضحايا المحتاجين مما قلص الحجم الأخلاقي لتضحياتهم إلى مستوى كازينو في مونت كارلو ؛ وأن أعداد الناجين من الهولوكوست قد تم تضخيمهم بشكل كبير . فأعداد الناجين في هذه الأيام ، كما يقول ، أكثر من أعدادهم في نهاية الحرب (العالمية) . [2]

.

أما المفكر اليساري الكبير نعوم تشومسكي فله العشرات من الكتب والأبحاث والمقالات العلمية في اللغويات والفلسفة والنقد السياسي ، ويعتبر من أشد المعارضين للسياسات الخارجية للولايات المتحدة وإسرائيل ومن المعارضين للحروب بشكل عام . ومن بين أهم مقولاته الناقدة التي استفزت المتطرفين اليهود إلى أبعد الحدود وأثارت حفيظتهم ، هو رده على مقالة ، نشرها أبراهام روزنتال ، المحرر التنفيذي في صحيفة نيويورك

---

1 Norman G. Finkelstein , The Holocaust Industry: Reflections on the Exploitation of Jewish Suffering (2000) . Beyond Chutzpah: On the Misuse of Anti-Semitism and the Abuse of History (2005)

2 ما قصده فينكلشتاين في كتاباته حول صناعة الهولوكوست هو ما يؤكده الخبر الذي نشرته الأسوشياتد برس في 16\7\2007 من دعوى رفعها الآن أبناء " الناجين من الهولوكوست " في إسرائيل بأن آثار القتل الجماعي للنازيين قد تجاوزت ذلك الجيل ليصل إلى أبنائهم من الجيل الثاني ، الذين يعانون (بعد ستين عاماً !) من أمراض نفسية مزمنة بسبب الهولوكوست . ويطالب هؤلاء الحكومة الألمانية بدفع تعويضات لعلاجهم النفسي تقارب الثلاثين مليون دولار . ومن المعروف أن ألمانيا دفعت منذ الخمسينات من القرن الماضي أكثر من ستين مليار دولار إلى عائلات من قتلوا في معسكرات الاعتقال . من هذا الخبر ، يمكن فهم ما نصح به المؤرخ سيمون دوبنوف أبناء جلدته ، في عام 1942 : " أيها اليهود ، اكتبوا وسجلوا ! " وهذا ما يؤكد المثل الشعبي المعروف : " عندما يفلس اليهودي يفتش في سجلات دفاتره العتيقة " .

تايمز (1989) والتي عارض فيها قيام دولة فلسطينية ثانية إضافة إلى الأردن التي يعتبرها الدولة الفلسطينية الأولى : "*أود أن أسأل الصحيفة* (أي النيويورك تايمز) *عن ردود فعلها إذا ما ادعى العرب عدم أحقية اليهود بدولة ثانية* (أي إسرائيل) *طالما أن لديهم الآن نيويورك ، بعدد سكانها الهائل من اليهود وعمدتها اليهودي ، وسيطرة اليهود على الإعلام وهيمنتهم على الحياة الثقافية والاقتصادية ؟* "

ثالث أشهر الكارهين لذاتهم ، في عرف المتطرفين اليهود ، هوالأكاديمي إسرائيل شاهاك . ويعتبر هذا الرجل من أكبر المنتقدين للصهيونية والمجتمع اليهودي . كان يرى أن اليهودية الأرثوذوكسية هي ديانة شوفينية ، وأن اضطهاد غير اليهود كان سائداً في نفسية اليهود بسبب تأثير القوانين التلمودية ، وهو ما يمكن تلمسه في تصرفات المجتمع الإسرائيلي المعاصر من عنصرية وانتقاص لحقوق الإنسان الفلسطيني . ويبدو أن أحد الأحداث الهامة التي غيرت نظرة شاهاك لمجتمعه والدين اليهودي خاصة ، وحولته إلى أكبر المنتقدين ، ما شهده من تصرف شخص متزمت دينياً رفض استدعاء سيارة إسعاف لشخص غير يهودي باعتباره كان في يوم حرمة السبت وإقرار أحد أعضاء مجلس الحاخامات على شرعية تصرف الرجل من وجهة نظر التوراة والتلمود .

لمواجهة هذا الثلاثي الخطر ، كان لابد من اعتماد استراتيجية تختلف نسبياً عن غيرهم . فهؤلاء أكاديميون بارزون لهم وزنهم الثقافي والأكاديمي ولهم طلابهم وأنصارهم . والمواجهة تقتضي تكوين شبكة من الأكاديميين والصحافيين المعروفين ، والمدعومين مادياً وإعلامياً من المنظمات اليهودية والصهيونية ، للرد عليهم والتشهير بهم على مستوى الجامعات و وسائل الإعلام المتاحة . ووفقاً لما صدر من كتب ومقالات يمكنني الادعاء بأن الشبكة الرئيسة مكونة من - إدوارد ألكسندر ، أستاذ الأدب الإنجليزي في جامعة واشنطن ، سياتل - بول بوغدانور ، كاتب ، - فيرنر كون ، استاذ علم الاجتماع في جامعة بريتيش كولومبيا ، - بيتر كولير ، كاتب سير ذاتية ومؤسس دار النشر إنكونتر - ديفيد هوروفيتس ، كاتب وصحافي فرونت بيج ماغازين - ألان ديرشوفيتس ، أستاذ الحقوق في جامعة هارفرد والمحامي في القضايا الجنائية . ومن الواضح أن خطة هذه الشبكة كانت تستهدف رأس الثلاثي الخطر والأكثر شهرة على المستوى الأكاديمي والعالمي نوآم تشومسكي . فمثل هذه المقاربة يمكن أن تردع من هم أقل شأناً من تخطي الحدود الحمراء . والهدف الأول

لهؤلاء الكتّاب المتطرفين كان " اغتيال سمعة " خصومهم السياسية والأكاديمية والعلمية وحتى الأخلاقية . لنستعرض أولاً جانباً من عناوين الكتب والمقالات التي كتبها هؤلاء والتي تنم ، من دون شك ، عما كتب في ثناياها :

- (*شركاء في الكراهية ، نوآم تشومسكي ورافضي الهولوكوست*) تأليف فيرنر كون 1995 ،1985 و [1]

- (*قارىء معاد لتشومسكي*) المحرران بيتر كولير وديفيد هوروفيتس ، 2004 [2] يتضمن الكتاب مجموعة من الدراسات للمحرريّن وعدد من الأكاديميين ، منها *حرب تشومسكي على إسرائيل* تأليف بول بوغدانور ، (*تشومسكي ورافضي الهولوكوست*) تأليف فيرنر كون (*نعوم تشومسكي وهوسه المعادي لأمريكا*) تأليف ديفيد هوروفيتس ، (*اللغويون الفاسدون*) تأليف روبرت ليفين وبول بوستال ... وغيرهم

- (*الانقسام اليهودي حول إسرائيل*) المُحرران إدوارد ألكسندر و وبول بوغدانور ،2006 [3] يتضمن الكتاب 17 دراسة لمجموعة من الكتّاب اليهود ، منها(*آية الله تشومسكي*) تأليف بول بوغدانور ، (*إسرائيليون معادون لأنفسهم*) تأليف إدوارد ألكسندر ، (*نورمان فينكلشتاين و تشومسكي من أجل النازية*) تأليف بول بوغدانور ... وغيرهم .

مجموعة مقالات تحمل عناوين مشابهة منها : (*أكبر مئة كذبة لتشومسكي*) و (*بروتوكولات تشومسكي*) تأليف بوغدانور ، (*العلاقة الغرامية بين تشومسكي والنازيين*) تأليف ديفيد هوروفيتس و جاكوب لاسكين ، (*نعوم تشومسكي قاتل جماعي شهير*) تأليف بنيامين كيرشتاين .

ومن دون الدخول في تفاصيل هذه الكتب والمقالات والدراسات التي تسعى جميعها لتحطيم سمعة تشومسكي الأكاديمية والأخلاقية ورفاقه ، سيجد القارىء قاسماً مشتركاً بينها ، أولها توزيع الأدوار لهذه الشبكة من الكتاب والأكاديميين . ففي أي كتاب يصدر من تأليف أو تحرير واحد منهم سيتضمن مقالة أو إشارة إلى ما كتبه زميله في الشبكة

1 Partners in Hate : Noam Chomsky and the Holocaust Deniers by Werner Cohn , 1985, 1995

2 The Anti-Chomsky Reader ,(Editors) Peter Collier and David Horowitz ,2004

3 The Jewish Divide Over Israel by Edward Alexander and Paul Bogdanor , 2006

(انظر الأمثلة أعلاه) . وثانيهما هو خلط جميع الأوراق المتاحة مع بعضها البعض التاريخية منها و المعاصرة . فتشومسكي هو يساري متطرف وإرهابي إسلامي وفاشي وقاتل نازي في الوقت ذاته . هو تقدمي و خميني معاً . تشومسكي هو من معارضي الحروب عامة ولكنه من مؤيدي التفجيرات " الانتحارية " التي يقوم بها الفلسطينيون في إسرائيل . تشومسكي يرفض قصة الهولوكوست وإبادة ستة ملايين يهودي ومع ذلك يتحدث مطولاً عن الجرائم البشعة " التي يزعم " أنها ارتكبت بحق الفلسطينيين " الأبرياء " . وليس آخراً ، فإن الصيغة المحببة ، والفعالة إعلامياً ونفسياً ، لدى كتّاب هذه الشبكة المتطرفة هي ربط العداء لأمريكا بالعداء لإسرائيل وللسامية (هذا الأسلوب أصبح السمة المميزة لدى غالبية الكتّاب اليهود المناصرين لإسرائيل والمحافظين الجدد بعد أحداث 11 أيلول \سبتمبر 2001) . فغالباً ما تستهل مقالاتهم بشرح مدى كراهية الأكاديميين اليساريين لأمريكا وصمتهم إزاء أحداث الحادي عشر من أيلول \ سبتمبر وطربهم لمقتل الجنود الأمريكيين في أفغانستان والعراق . وما أن تنتهي هذه المقدمة حتى يقود العقل الباطن لهؤلاء الكتاب إلى إفراد الصفحات في مقالتهم حول الكراهية لإسرائيل واليهود وقتل الأبرياء على يد الفلسطينيين . لنلاحظ هنا فن ربط العداء فيما يقوله ديفيد هوروفيتس : " *إن تشومسكي هو آية الله الخميني لطائفة الكارهين لأمريكا ... وكراهيته هذه ليس مبعثها الانتهازية بل القلب . كراهية غريزية و انفعال شيطاني من النوع الذي أجج المذابح* (أي البوغروم تجاه اليهود في روسيا القيصرية) *ومحاكم التفتيش* (في إسبانيا) ..... *والذي أدى ، في أيامنا هذه ، لإرسال الأطفال العرب لنسف الأطفال الإسرائيليين* " . واللافت للنظر أيضاً في كتابات هؤلاء المتطرفين الأكاديميين ذلك المستوى المتدني في استخدام مصطلحات الشتائم والسباب في وصف معارضيهم في الرأي ، فتشومسكي ورفاقه من الأكاديميين اليساريين الأمريكيين هم باختصار ، كما يصفهم هوروفيتس : " *إرهابيون سابقون وعنصريون وقتلة ومنحرفون جنسياً ومعادون للسامية و مناصرون لتنظيم القاعدة* " . وفي مقالة لأستاذ علم الأجتماع فيرنر كون يقول : " *شاهاك هو معلّم أسرائيلي متقاعد للكيمياء* (وليس أستاذاً في الجامعة العبرية !) *يدور العالم ليدرّس شرور الصهيونية والدين اليهودي ... وأنفه أطول من انف بينوكيو ؟؟* " . كما يقول إدوارد الكسندر ، الأستاذ في جامعة واشنطن ، في مقابلة صحفية : " *لا يحتاج المرء إلى قراءة الكثير مما كتبه شاهاك ليرى أنه مختل عقلياً ، و بنى أمجاده على إعادة استخدام الدعاية النازية حول اليهود واليهودية .... "* ، وفي حين يرى بول بوغدانور " *إن علينا أن نتذكر أن هذه ليست تزّهات (هلوسات)*

لحليقي الرؤوس المخمورين في ألمانيا أو لدعاة الجهاد في السعودية ، بل لأساتذة يتقاضون الرواتب في جامعات أمريكا الشمالية " .

هذه الحملة الشرسة ضد هذا الثلاثي اليهودي المارق لم تكن ، في الواقع ، سوى القمة الظاهرة لجبل جليدي عائم . كانت الخطة التي وضعتها القوى المناصرة لإسرائيل في الولايات المتحدة تعد لحرب مفتوحة على عدد من من أكاديميي الولايات المتحدة وبريطانيا من اليهود وغير اليهود ممن تجرأوا على كتابة التاريخ من وجهة نظر محايدة أو جاهروا بانتقاداتهم لإسرائيل وحاولوا كسر حاجز العداء للسامية أوأدلوا بدلوهم في طبيعة الصراع العربي - الإسرائيلي ودور الولايات المتحدة واللوبي اليهودي والإعلام الأمريكي . ففي نهاية القرن الماضي ومطلع القرن الحالي بدأت بعض مقالات ودراسات وكتب هؤلاء الأكاديميين تأخذ طريقها إلى دور النشر أبرزها ما ألفه الاستاذ كيفين ماك دونالد ، من جامعة ولاية كاليفورنيا – لونغ بيتش – من دراسات نقدية حول اليهود من منظور نفساني أنثروبولوجي ومدى نفوذهم في الولايات المتحدة وخارجها 1 ، و دراسة الأستاذين جون ميرسهايمر ، من جامعة شيكاغو و ستيفين والت من جامعة هارفرد ، بعنوان - اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية للولايات المتحدة - 2 . وتمثل هذه الدراسات الأكاديمية وغيرها بداية التململ من النفوذ اليهودي المتشدد لدى هذه الشريحة المثقفة . كانت المحاضرات والدراسات والأبحاث الشرق أوسطية التي تتم في بعض المعاهد والجامعات الأمريكية تثير حفيظة أنصار إسرائيل لكونها تتعارض مع تاريخهم الذي كتبوه بأيديهم و نظرتهم وتحليلاتهم للأحداث عامة ويمكن أن تشكل مرحلة جديدة لإعادة كتابة التاريخ اليهودي المعاصر وربما الأقدم .

الزمن المناسب لبدء الحملة ضد هؤلاء الأكاديميين جاءت كهدية من السماء في مطلع القرن الحالي . فقد تمكنت مجموعة من المحافظين الجدد ، يشكل عمودها الفقري يهود ليكوديون ، من التسلل إلى مرافق حساسة في إدارة الرئيس بوش الإبن وبخاصة البيت الأبيض والبنتاغون والخارجية ؛ ثم جاءت أحداث الحادي عشر من أيلول \ سبتمبر 2001 لتعطي إشارة البدء لهذا المخطط . فبعد أشهر قليلة من الحدث ، بدأ دانييل بايبس يمهد حربه الفعلية والمفتوحة ضد بعض الأكاديميين الأمريكيين عن طريق سلسلة من المقالات استهلها في مطلع عام 2002 بمقالة " البروفسور المساعد للإرهاب " تناول فيها نشاطات الأستاذ الأمريكي- العربي سامي العريان الداعمة للإرهاب ضد

الولايات المتحدة وإسرائيل . وتلتها مقالات هجومية على بعض الجامعات والأساتذة ، منها : " هارفرد تحب الجهاد " ، " متطرفون في الحرم الجامعي " و " الحرب في الحرم الجامعي " 3 . وفي الذكرى الأولى لأحداث أيلول \ سبتمبر ، أطلق بايبس مشروعاً باسم " مراقبة الحرم الجامعي " في إطار مؤسسة البحوث التي كان قد أنشأها قبل سنوات " منبر الشرق الأوسط " 4 . ويهدف المشروع ، كما يذكر بايبس ، إلى متابعة الدراسات والكتب والمحاضرات في جامعات الولايات المتحدة حول الشرق الأوسط بقصد ضمان عدم انحيازها ضد إسرائيل و تشجيع طلبة الدراسات الشرق أوسطية في الجامعات والمعاهد تقديم " تقارير" له حول أساتذتهم وكتبهم ومناهجهم المنحازة في الصراع العربي – الإسرائيلي لفضحها . وأستهدف المشروع أولاً 250 جامعة أمريكية بدءاً من بيركلي ، كولومبيا ، هارفرد ، نورث إيسترن ، كولورادو ، سان فرانسيسكو ، شيكاغو ، نورث كارولاينا وساوث فلوريدا . ولم تمض فترة قصيرة حتى نشر بايبس قائمة سوداء بأسماء عدد من الأساتذة (المنحازين من وجهة نظره) أغلبهم من الأكاديميين العرب من أمثال حميد دباشي وجوزيف مسعد (جامعة كولومبيا) وهشام شرابي (جورج تاون) وغيرهم إضافة إلى جوان كول (ميتشيغان) و جويل بنين (ستانفورد) . وقد لاقت هذه الخطوة القذرة والغريبة من جانب بايبس ردود فعل غاضبة من قبل شريحة واسعة من أساتذة وطلاب الجامعات ، وطالب حوالي مئة أكاديمي وضع اسمائهم في اللائحة السوداء تضامناً مع أسماء زملائهم مما أجبر بايبس على سحب لائحته السوداء من التداول . هذا التراجع ، بطبيعة الحال ، لم يكن سوى مناورة إذ لم تمض سنوات قليلة حتى أصدر الكاتب والصحافي ديفيد هوروفيتس وصديق بايبس كتاباً جديداً عنوانه " أساتذة الجامعات : 101 أكاديمي الأكثر خطورة في أمريكا " 1 . وفي رأي هوروفيتس ، فإن هذه القائمة السوداء (المختصرة) لاتمثل سوى عينة يسيره من حوالي 50000 إلى 60000 أستاذ جامعي يساري متطرف وإسلامي إرهابي في الجامعات الأمريكية استعمروا جزءاً معتبراً من منظومة الجامعات بما يخدم أهدافهم السياسية المعادية لأمريكا و.....لإسرائيل ، ويتقاضون في الوقت نفسه الدولارات من الضرائب والرسوم التعليمية لتدريس أولادنا ، على حدّ زعمه !

لا تزال الحرب الأكاديمية المشتعلة في عدد من الجامعات الأمريكية مستمرة إلى يومنا هذا و تتعمق أكثر فأكثر وتحتاج ، في واقع الأمر ، إلى دراسة مستقلة وأكثر تفصيلاً .

ولا أجد ما أختم به هذا الموضوع سوى أن أردد ، مرة أخرى ، ما ذكره الأستاذ كيفين ماك دونالد من عبارة تنبؤية وتحذيرية في آن واحد : " *.. ويعلمنا التاريخ أيضاً أن ردود الفعل المعادية لليهود تنمو مع زيادة هيمنتهم على الآخرين ، وكما هو الحال دوماً ، فسيكون أمراً مثيراً أن نراقب حصيلة هذه الهيمنة.* "

---

1 Understanding Jewish Activism ,I ,II ,III by Kevin Mac Donald , Occidental Quarterly , 2003, 2004.

2 The Israel Lobby and U.S. Foreign Policy by John Mearsheimer and Stephen Walt , London Review of Books ,2006

3 يذكر بايبس هنا أنه يرى (في الجامعات الأمريكية) التباين بين الطبيعة المتحضرة لإسرائيل وأصدقائها وبين البربرية الجلفة لأعداء إسرائيل.

4 Middle East Forum (Campus Watch) , Director Daniel Pipes .

5 The Professors: The 101 Most Dangerous Academics in America , by David Horowitz , 2006

mhs , 2007